@ 502 @ (سقط : لتهدي إلى صراط مستقيم ، صراط ا الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلا ا تصير الأمور) .

الظاهر أن { وَقَالَ } ماض لفظاً ومعنى ، أي { وَقَالَ الَّذِينَ ءامَنُواْ } في الحياة الدنيا ، ويكون يوم القيامة معمولاً لخسروا ، ويحتمل أن يكون معنى { وَقَالَ } : ويقول ، ويوم القيامة معمول لو يقولوا ، أي ويقولوا في ذلك اليوم لما عاينوا ما حل بالكفار وأهليهم . الظاهر أنهم الذين كانوا أهليهم في الدنيا ، فإن كانوا معهم في النار فقد خسروهم ، أي لا ينتفعون بهم ؛ وإن كانوا في الجنة لكونهم كانوا في الجنة لكونهم كانوا مؤمنين ، كآسية امرأة فرعون ، فهم لا ينتفعون بهم أيضاً . وقيل : أهلوهم ما كان أعد لهم من الحور لو كانوا آمنوا ، والظاهر أن قوله : { أَلاَ إِنَّ الظَّالِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ } من كلام المؤمنين ؛ وقيل : استئناف إخبار من ا تعالى . .

{ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ } ، قيل : هو يوم ورود الموت ، والظاهر أنه يوم القيامة . و { مِنَ اللَّهِ } متعلق بمحذوف يدل عليه ما مر ، أي لا يرد ذلك اليوم من ما حكم ا به فيه . وقال الزمخشري : { مِنَ اللَّهِ } : من صلة للأمرد . انتهى ، وليس الجيد ، إذ لو كان من صلته لكان معمولاً له ، فكان يكون معرباً منوناً . وقيل : { مِنَ اللَّهِ } يتعلق بقوله : { يَأْتِىَ } ، من قبل أن يأتي من ا يوم لا يقدر أحد على رده . { مَالَكُمْ * مِّن مَّلْجَأٍ } تلجأون إليه ، فتتخلصون من العذاب ، ومالكم من إنكار شيء من أعمالكم التي توردكم النار ، والنكير مصدر أنكر على غير قياس . قيل : ويحتمل أن يكون اسم فاعل للمبالغة ، وفيه بعد ، لأن نكر معناه لم يميز . { فَإِنْ أَعْرَضُواْ } الآية : تسلية للرسول وتأنيس له ، وإزالة لهمه بهم . والإنسان : يراد به الجنس ، ولذلك جاء : { وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ } . وجاء جواب الشرط { فَإِنَّ الإنسَانَ } ولم يأت فإنه ، ولا فأنهم ، ليدل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم ، كما قال : { إِنَّ الإنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } ، { إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ } . .

ولما ذكر أنه يكفر النعم ، أتبع ذلك بأن له ملك العالم العلوي والسفلي ، وأنه يفعل ما يريد ، ونبه على عظيم قدرته ، وأن الكائنات ناشئة عن إرادته ، فذكر أنه يهب لبعض إناثاً ، ولبعض ذكوراً ، ولبعض الصنفين ، ويعقم بعضاً فلا يولد له . وقال إسحق بن بشر : نزلت هذه الآية في الأنبياء ، ثم عمت . فلوط أبو بنات لم يولد له ذكور ، وإبراهيم ضده ،

ومحمد صلى ا عليه وسلم) وعليهما ولد له الصنفان ، ويحي عقيم . انتهى . وذكر أيضاً مع لوط شعيب ، ومع يحي عيسى ، وقدم تعالى هبة البنات تأنيساً لهن وتشريفاً لهن ، ليهتم بصونهن والإحسان إليهن . وفي الحديث : (من ابتلي بشيء من هذه البنات فأحسن إليهن كن له ستراً من النار) . وقال واثلة بن الأسقع : من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر ، لأن ا تعالى بدأ بالإناث . وقال الزمخشري : فإن قلت : لم قدم الإناث على الذكور مع تقدمهم عليهن ، ثم رجع فقدمهم ؟ ولم عرف الذكور بعد ما نكر الإناث ؟ قلت : لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى . وكفران الإنسان : نسيانه الرحمة السابقة عنده . .

ثم ذكره بذكر ملكه ومشيئته ، وذكر قسمة الأولاد ، فقدم الإناث ، لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه ، لا ما يشاء الإنسان ، فكان ذكر الإناث اللائي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم ، والأهم أوجب التقديم . والبلاء : الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ، ذكر البلاء وآخر الذكور . فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيره ، وهم أحق بالتقديم بتعريفهم ، لأن التعريف تنويه وتشهير ، كأنه قال : ويهب لمن يشاء الفريقين ، الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم . ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حظه من التقديم والتأخير ، وعرفان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ، ولكن لمقتضى آخر فقال : { ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً } ، كما قال : { إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن